

## الفصل الرابع

### رأس المال

ماهية رأس المال — الذخائر والادوات — منشأ رأس المال وصفة نموه —  
مصدراه : وهما الادخار والاختراع — الفرق بين الادخار الحديث  
والادخار القديم — الخصائص العامة في امة يتكون عندها  
رأس المال وينمو على الدوام — نوعا رأس المال :  
رأس المال الثابت ، ورأس المال المتداول —  
مواد كل من هذين النوعين

### ماهية رأس المال

رأسُ المال أحدُ المصادرِ الثلاثةِ الكبرى للإنتاج .  
وصنواهُ الطَّبِيعَةُ وَالْعَمَلُ  
لولا رأسُ المالِ لَبَقِيَ النَّاسُ أَبَدًا وَلَا مَقُومَ لَأَوْدِهِمُ إِلَّا  
الصَّيْدُ بَرًّا وَبَحْرًا . وَالصَّيْدُ بِنُوعِيهِ هُوَ الْعَمَلُ الْوَحِيدُ  
الَّذِي يَجْنِي مِنْهُ الْإِنْسَانُ مَحْصُولًا عَاجِلًا يُنْفِقُهُ بِلا اِهْمَالٍ ؛  
إِلَّا أَنْ ذَلِكَ الْمَحْصُولَ غَيْرُ مُحَقَّقٍ وَلَا مُتَعَادِلٍ . وَلَهُ حَدٌّ  
يَنْتَهَى إِلَيْهِ

لما أَرَادَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَسْتَقِلَّ عَنِ الصَّيْدِ ، وَأَنْ يُهَيِّئَ  
لِنَفْسِهِ مَوَارِدَ مِنْ سِوَاهُ ، أَضْطَرُّوا إِلَى مُقْتَنِيَّاتٍ يَتَأَثَّلُهَا <sup>(١)</sup> ،  
وَأَدْوَاتٍ يَصْطَنِعُهَا ، فَكَانَتْ هَذِهِ الذَّخَائِرُ وَتِلْكَ الْأَدْوَاتُ  
هِيَ النَّوْعَانِ الْأَصْلِيَّانِ لِرَأْسِ الْمَالِ

كَيْفَ تَكُونُ رَأْسُ الْمَالِ وَبِمَ تَكُونُ ؟  
بِالتَّبَصُّرِ <sup>(٢)</sup> وَالْإِخْتِرَاعِ ، وَبِتَطْبِيقِ الْعَمَلِ عَلَى كُلِّ مَا هُوَ  
مُعَدٌّ لِتَسْهِيلِ الْإِنْتِاجِ آجِلًا ، دُونَ مَا هُوَ مُعَدٌّ لِاسْتِعْمَالِهِ  
عَاجِلًا

هنا يَنَسَاقُ بِنَا الْكَلَامُ إِلَى الْأَزْمِنَةِ الْمُخْتَلِفَةِ ، الَّتِي  
مَرَّتْ بِهَا الْحَضَارَةُ ، وَكَانَتْ فِيهَا تَعْيِينَ بِالْأَدْوَاتِ الَّتِي غَلَبَتْ  
اسْتِعْمَالُهَا ؛ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ :

العَصْرُ الْحَجَرِيُّ ، تَسْمِيَةٌ لِلْحِقْبَةِ الَّتِي كَانَ الْإِنْسَانُ  
فِيهَا هَمَجِيًّا لَا يَتَّخِذُ مِنَ الْأَلَاتِ إِلَّا مَا كَانَ حَجَرًا

(١) التَّائِلُ الْإِدْخَارُ (٢) التَّبَصُّرُ وَالتَّذَبُّرُ prévoyance

ثمَّ العَصْرُ الحَدِيدِيُّ ، وهو الذي انتفعَ الانسانُ فيه  
بِياسِ الحَدِيدِ وَلِوُجُوتهِ

ثمَّ العَصْرُ الآلِيُّ وهو هذا العَصْرُ الذي أُحْدِثَتْ فِيهِ  
الآلاتُ ذواتُ الأجهِزَةِ المَرَكَّبَةِ : تُحَرِّكُها يَدُ الانسانِ  
تارةً وَتُدِيرُها قُوَّةُ الحيوانِ أُخْرى ؛ ثمَّ يُسْتخدَمُ لها بعدَ  
ذلكِ الهِواءُ أو المِاءُ ، إلى ان يُستعاضَ عنها في آخِرِ مَرَاقِي  
المدَنِيةِ بالبَخارِ والغازِ والكهرباءِ الخ

لم يَكُنْ تَوَلَّدُ تلكَ الآلاتِ إلا من مَزَاجَةٍ بين  
الِاخْتِراعِ والتَّبَصُّرِ ؛ فلَمَّا تَصافَرَ العَقْلُ والإِرادَةُ معاً نَهَضَا  
بالانسانِ من قُعودِهِ ، وَطَمَحَا بِبصرِهِ إلى ما وراءَ الكِفافِ  
المِيسُورِ ، وَشَغَلَاهُ بِأمرِ مُستقبَلِهِ ، وَحَمَلَاهُ على بَدَلِ  
مُجْهُودِهِ ؛ لا لِقِضَاءِ العاجِلِ من حاجاتِهِ ، بل لِتمهيدِ ما يُهَيِّئُ  
لَهُ قِضَاءَ الآجَلِ مِنْها في حِينِهِ

منشأ رأس المال

لِنَتَنظُرُ بَعينِ الفِكرِ ، كِيفَ نَشَأَ رَأْسُ المِالِ في قَبيلَةٍ  
من صَادَةِ السَّمَكِ

كان فيهم واحدٌ، وكان أَيْقَظَ من رفاقه، فرأى جذعَ  
شجرةٍ طافياً على الماء. رآه وقد علاه جسمٌ آخرٌ فلم يَغْضُ  
في الماء ولم يَفْرَقْ. فامتَلَحَ (١) شجرةً وطفِقَ يُشَذِّبُهَا (٢)  
ويَقْطَعُهَا ويَهَيِّئُهَا بحيث يَسْتَطِيعُ أن يَقْعُدَ فوقها ويُدِيرَها.  
وإذ كان لا بدَّ له من التَّفَرُّغِ زمنًا لهذا العملِ، اضطرَّ أن  
يُدَّخِرَ ما يَقْتَاتُ به مُدَّةَ ذلك الفِراغِ وأن يُقْتَرَّ على نفسه  
بعضَ الشئِ فيما يُنْفِقُهُ من ذخيرته، وإن يكْبَحَ (٣) من  
جِجَاحِ (٤) شهوةِ الطَّعامِ، مُسْتَعِينًا بكل ذلك على أن يَمْلِكَ  
الصبرَ الى النِّهايةِ. فلما أذْرَكَ النِّهايةَ وأصبحَ صاحبَ  
زَلَّالٍ (٥)؛ تَعَيَّنَ عليه أن يَدْفَعَ به الى البحرِ، فدفعَهُ  
ومَلَكَ به أداةً سَهَّلتَ عليه الصِّيدَ. تلك الأداةُ كانت  
رأسَ مالٍ، كما أن تلك الذَّخيرةَ التي مَلَكَتْهُ وقتَهُ، وأعانتَهُ

---

(١) امتلحَ اقتلعَ (٢) يُشَذِّبُهَا يُقْلِمُهَا (٣) كَبَحَ  
جذب أوردَ (٤) جَمَحَ استعصى (٥) الزَّلَّالُ هو الزُّورِقُ  
الصغير، لغة بغدادية ذُكِرَتْ في كتاب الأغاني في غير موضع  
وذُكِرَتْ في غيره من كتب الأدب وإن أهملتها المعاجم

على تحقيق أمنيته ، كانت رأس مال أيضاً  
بعد تملك الزَّالِ على حدِّ ما وصفناه ، بات ذلك  
الموَلُّ<sup>(١)</sup> متصرفاً في أداة يستخدمها إما ليسهل عليه  
الصيد ويخف عنه عناؤه ، وإما ليستكثر ما يخرجهُ من  
السَّمك ، فيأخذُ منه جانباً لقوته ، ويقايسُ بالجانب  
الزَّائد من شاء من بنى عشيرته

القُدوةُ الصالحة تُعدى كما تُعدى القُدوةُ السيئةُ ،  
ومِصداقُهُ أن أذكي أولئك الهمج وأنشطهم ، قد احتذى  
على مثال البادي ، فابتنى الزَّوارق . ولا جرمَ إذا اطَّرحَ  
الكسلَ وادَّخر الميرة<sup>(٢)</sup> ، ليقف وقته وهمتُهُ على إنجاز مطلبهِ  
مرَّةً على هذا زمانٌ ، طال أو قصر ، فإذا القبيلةُ  
فريقانِ رجالٌ فطنون متبصرون يملكون الزَّوارق ،  
لأنَّ عزيمتهم صحَّت على ابتنائها ففعلوا ؛ وآخرون أخطأوا  
الرَّأى فلم يملِكوا الزَّوارق ، فكان حظُّهم من الصيدِ

(١) آثرنا هذه اللفظة لتسمية كل ذي رأس مال

(٢) الميرة المؤونة والزَّاد

أدنى ، وكانوا بذلك أقلَّ وفراً<sup>(١)</sup>

لَمَّا سَهَلَتِ الزَّوَارِقُ لِلنَّاسِ صَيْدَ الْأَسْمَاكِ ؛ دَعَتِ  
الْحَالَةَ إِلَى مَا هُوَ أَصْلَحُ ؛ فَاخْتَرَعَتِ الصَّنَاةَ ، ثُمَّ  
السُّكَّانَ<sup>(٢)</sup> ، ثُمَّ الشِّرَاعَ<sup>(٣)</sup> ، وَتَسَنَّى لِبَعْضِ رِجَالِ الْعَشِيرَةِ ،  
أَنْ يَسْتَعْمِدُوا هَذِهِ الْأَدْوَاتِ ، وَيَجِدُوا مِنْ وَقْتِهِمْ مُتَسَعًا  
لِلرَّاحَةِ وَمِنْ رِزْقِهِمْ فَضْلًا يَتَتَوَّنُونَ بِهِ أَوْ خَا تَقِيهِمْ آفَاتِ  
الْجَوِّ . وَعَلَى هَذَا الْمَثَالِ وَذَلِكَ التَّدْرِيجِ الْبَطِيءِ ، تَوَصَّلَ  
حُصَفَاءُ<sup>(٤)</sup> الْقَبِيلَةِ وَصَادِقُوا الْهَمَّةِ فِيهَا ، إِلَى التَّفَوُّقِ عَلَى عَامَتِهَا  
وَزِيَادَةِ أَسْبَابِ الْفَائِدَةِ وَالرِّخَاءِ لِأَنْفُسِهِمْ . إِذْ كُلُّ رَأْسٍ  
مَالٍ جَدِيدٍ لَا يَكُونُ وَسِيلَةً مَقْصُورَةً عَلَى جَلْبِ النِّعَمِ  
الشَّاهِدَةُ ؛ بَلْ يَزِيدُ الْعَمَلَ إِنتَاجًا ، وَبِهِ يَتِمَكَّنُ أَوْلُو  
الْأَبْيَابِ مِنْ ادِّخَارِ شَيْءٍ مِنْ كَسْبِهِمْ لِإِنْشَاءِ رُؤُوسِ أَمْوَالٍ  
أُخَرَ : أَيُّ لِإِيجَادِ أَدْوَاتٍ جَدِيدَةٍ ، وَذَخَائِرَ طَرِيفَةٍ<sup>(٥)</sup>

(١) الْوَفْرُ الْمَالُ الْكَثِيرُ وَيَأْتِي بِمَعْنَى الزِّيَادَةِ فَيُقَالُ وَفَرُ الْجَاهُ

(٢) السُّكَّانُ هُوَ مَا يُسَمَّى الْعَامَّةَ بِدَفَةِ الْمَرْكَبِ وَيُسَمَّى أَيْضًا

بِالْحَيْزُرَانَةِ (٣) الشِّرَاعُ لِلْسَّفِينَةِ أَوْ الْقَلْعُ (٤) الْحُصَفَاءُ

الْعُقْلَاءُ (٥) طَرِيفَةٌ أَيُّ جَدِيدَةٌ

مِثْلُ هَذَا التَّحَوُّلِ جازَ حَدْوُهُ فِي إِحْدَى الْقِبَائِلِ مِنْ  
صَادَةِ الْبَرِّ : وَلَمَّا سَنَحَ لِأَحَدِهَا وَهُوَ يُطَارِدُ الْبَهْمَ <sup>(١)</sup>  
كُلَّ يَوْمٍ وَيَقْتَلُهَا تَقْتِيلًا بِلا رَحْمَةٍ طَلِبًا لِقُوْتِهِ ، أَنْ يَخْتَصِرَ  
مِنْ ذَلِكَ الْعَنَاءِ ، فَيَأْسِرَهَا وَيَتَوَخَّى بَقَاءَهَا وَيَتَوَلَّى الْهَيْمَنَةَ  
عَلَيْهَا وَيَسْتَوْلِدَهَا ؛ فَيَخْفُضُ <sup>(٢)</sup> بِذَلِكَ عَيْشُهُ وَيَلِينُ لَهُ  
جَانِبُ الدَّهْرِ ؛ عَلَى أَنَّهُ قَدْ اضْطُرَّ قَبْلَ أَنْ يَجْتَمَعَ لَهُ الْقَطِيعُ  
مِنْهَا ، أَنْ يَكِدَّ كَدًّا <sup>(٣)</sup> ، وَأَنْ يَقْتَصِرَ مِنْ كَسْبِهِ عَلَى مَا  
يُمْسِكُ بِهِ رَمَقَهُ <sup>(٤)</sup>

أَمَّا ، وَوَلِدُ الزَّرَاعَةِ فَكَانَ فِي عَصْرِ بَعْدَ ذَلِكَ الْعَصْرِ .  
وَالْمَرْءُ يَوْمئِذٍ قَدْ خَطَا خَطْوَةَ إِلَى التَّرَقِّي فِي التَّخْرِجِ عَلَى  
التَّجَارِبِ

وَالزَّرَاعَةُ هُنَا هِيَ اسْتِخْدَامُ الْعَمَلِ الْمَشْرُوعِ لِاسْتِنْبَاتِ  
الْأَرْضِ نَبَاتًا نَافِعًا لِلنَّاسِ . وَقَدْ كَانَ مَنشَأُ ذَلِكَ ، التَّبَصُّرُ  
وَالإِدْخَارَ وَالْأَدْوَاتِ الْمَصْنُوعَةِ الَّتِي بَدَأَتْ غَيْرَ مُتَقَنَةً ثُمَّ

(١) الْبَهْمُ جَمْعُ بَهِيمَةٍ (٢) خَفَضَ الْعَيْشَ أَي لَانَ

(٣) كَدَّ كَدًّا سَمِيَ سَعِيًّا وَتَعِبَ تَعَبًا (٤) يَحْفَظُ حَيَاتَهُ

تَدَرَّجَتْ إِلَى الْإِتْقَانِ : مِنْ الْمِعْوَلِ وَالْمِحْرَاطِ ، إِلَى  
أَعْجَبِ الْآلَاتِ الْحَدِيثَةِ

كَيْفَ يَتَكَوَّنُ رَأْسُ الْمَالِ

النَّوْعَانِ الْأَصْلِيَّانِ اللَّذَانِ يَتَكَوَّنُ مِنْهُمَا رَأْسُ الْمَالِ .  
هُمَا الذِّخَائِرُ ، وَالْأَدْوَاتُ . وَإِلْحِدَاتُهُمَا يَتَحْتَمُّ عَلَى الْإِنْسَانِ  
أَنْ يَخْشَوْشِنَ أَيْ أَلَّا يَخْرُجَ عَنِ الْقَصْدِ <sup>(١)</sup> فِي نَفَقَاتِهِ  
وَأَنْ يَكْدَّ . وَكُلُّ رَأْسِ مَالٍ إِنَّمَا هُوَ مِنْ نِتَاجِ الْكَدِّ  
وَالْإِدْخَارِ

لَمَّا وَجِدَ رَأْسُ الْمَالِ اتِّجَةَ الْفِكْرِ إِلَى أَنْ رِجَالًا مِنْ  
الصَّفْوَةِ <sup>(٢)</sup> قَدْ آثَرُوا عَلَى الْمُرَافِقِ <sup>(٣)</sup> الْعَاجِلَةَ ، مُرَافِقَ آجَلَةٍ  
لَا تَتَحَقَّقُ لِحِينِهَا ، وَلَكِنَّهَا خَيْرٌ وَأَبْقَى ؛ وَإِنْ ذَلِكَ الْإِسْتِغْنَاءُ  
عَنِ الْعَاجِلِ بِالْآجِلِ ، مَبْدُؤُهُ الْإِهْتِمَامُ بِأَمْرِ الْغَدِ وَالرَّغْبَةُ  
فِي تَحْسِينِ الْحِظِّ وَاسْتِدَامَةِ الرَّغْدِ <sup>(٤)</sup> وَإِنْ تَحَمَّلَ دُونَهَا  
الْإِنْسَانُ مَا يَتَحَمَّلُهُ مِنَ الْحِرْمَانِ وَالْمَشَقَّةِ فِي يَوْمِهِ

(١) الْقَصْدُ هُوَ الْإِعْتِدَالُ (٢) الصَّفْوَةُ النَّخْبَةُ

(٣) الْمُرَافِقُ الْمَنَافِعُ (٤) الرَّغْدُ الدَّعَةُ وَاللَّيْنُ

التَّبَصُّرُ فُضِيلَةٌ لَا تَكُونُ بِنْتِ سَاعَتِهَا ، بَلْ يَتَعَوَّدُهَا  
الْإِنْسَانُ حَتَّى تَصِيرَ مِنْ طِبَاعِهِ . فَمَنْ شَرَعَ فِي جَمْعِ  
رَأْسِ مَالٍ وَعَرَفَ مَزَايَاهُ ، أَلِفَ الْجَمْعِ اسْتِمْرَارًا وَحَبِيهَ إِلَى  
بَنِيهِ وَأُلُوفِهِ ؛ فَتَعَدَّدُ رُؤُوسُ الْأَمْوَالِ : أَى الدَّخَائِرُ  
وَالْأَدْوَاتُ ، وَتَنُمُو جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ . وَهَذَا التَّعَدُّدُ وَذَلِكَ  
النُّمُوُّ الْمُتَوَالِي فِي رُؤُوسِ الْأَمْوَالِ يَكُونَانِ مِنْ مُمَيِّزَاتِ  
الْأُمَّةِ الْمُمَدَّنَةِ

إِذَا أُرِيدَ تَحْلِيلُ مُشْتَبِكَاتِ الْوَقَائِعِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ بِمَعْضَاهَا  
مِنْ بَعْضٍ ، وَضَحَّ لِكُلِّ ذِي عَيْنِينَ أَنَّهُ لَا يُوجَدُ بَيْنَ  
ظَهْرَانَيْنَا فِي هَذَا الزَّمَانِ رَأْسُ مَالٍ إِلَّا وَمَرَجِعُهُ إِلَى  
العَصْرِ الْحَجْرِيِّ ؛ فَإِنَّ فَأْسَ الصَّوَّانِ الْمُنْحَوْتِ نَحْتًا غَلِيظًا ،  
وَسَهْمَ أَوَّلِ رَامٍ ، وَالشَّبَكَةَ وَالزَّوْرَقَ الَّذِينَ اسْتَعْمَلَهُمَا  
الصِّيَادُ الْأَوَّلُ ، وَالْمِجْرَفَةَ وَالْمِعْوَلَ ، وَمِجْرَاتِ الخَشْبِ الَّذِي  
اسْتَحْدَمَهُ أَوَّلُ مَنْ زَرَعَ الْأَرْضَ ، إِلَى أَمْثَالِهَا مِنْ  
الْأَدْوَاتِ هِيَ بَيْنَهَا تِلْكَ الَّتِي تَحَوَّلَتْ بِإِتْقَانٍ تَدْرِيجِيٍّ إِلَى  
الآلَاتِ الْمُرَكَّبَةِ الْعَجِيبَةِ الَّتِي نَرَاهَا الْيَوْمَ ، وَمِنْهَا : الْمِطْرَقَةُ

العاقبة<sup>(١)</sup> والقاطرة ، والسفينة ذات الرفاس ، والحصادة  
والدراسة<sup>(٢)</sup> البخاريّتان

قيلَ في أحوالٍ مُتعدّدة ، إنّ رأسَ المال ، هو  
العملُ المتراكمُ للمجتمع . وهذا تعريفٌ قريبٌ من الصّحّة ،  
لكنّه غيرُ تامٍّ : وصوابه أن تُضافَ إليه الفاعلُ الآخرُ  
فيقال : هو العملُ المتراكمُ على ذمّة الإنتاج الآجلِ

### إنتاج رأس المال

أنكرَ بعضُ المتزمتين<sup>(٣)</sup> على رأس المال أنه مُنتجٌ .  
ولا ريبَ أنه إذا أُريدَ إنتاجُه فهو في حاجةٍ إلى يدِ  
الإنسانِ أي إلى العملِ . لكن هل يُنكرُ على المِحراث أنه  
مُنتجٌ ، لأجل أن الرّجلَ الذي يَستخدِمُه ، يَعْمَلُ عَشْرَةَ  
أضعافِ العملِ الذي يَتَسَنَّى لمن لا محراثَ له ؟ ومثل هذا

(١) مطرقة ضخمة للحديد تُحرّكُ بالبخار أو بالهواء المضغوط

أو بالماء (٢) الحصادة آلة للحصد ؛ والدراسة آلة للدراسة

(٣) المتزمتون المتشدّدون الذين لا يترخّصون في شيء

يُقال في استخدام عَجَلَةِ اليَدِ ، وَالزَّوْرَقِ ، وَالْمِطْرَزَةِ <sup>(١)</sup> ،  
وسائر الأدوات

في الطَّيْبَةِ كَثِيرٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ لَا يُنتِجُ بِانْفِرَادِهِ ،  
وَأَوْلَهَا الْحَيَوَانَ مِنْ جِهَةِ الْمَنَاسَلَةِ <sup>(٢)</sup> . كَذَلِكَ رَأْسُ الْمَالِ  
لَا تَتَوَلَّدُ فَوَائِدُهُ لِلنَّوْعِ الْبَشَرِيِّ إِلَّا بِمَزَاجَتِهِ لِلْعَمَلِ  
الْوَقْتِيِّ ؛ وَلَكِنْ مِنَ الْغُرُورِ الْقَوْلَ بِأَنَّ الْعَمَلَ الْوَقْتِيَّ  
يُنْتِجُ بِذَاتِهِ كُلَّ مَا يُنتِجُهُ بِذَخَائِرِهِ وَبِأَدْوَاتِهِ ، وَإِنْكَارَ مَا  
لِرَأْسِ الْمَالِ مِنَ الْفَضْلِ الْعَظِيمِ فِي الْإِنْتِاجِ عَلَى عَمُومِهِ وَفِي  
زِيَادَتِهِ الْمَطْرَدَةِ

رَأْسُ الْمَالِ إِنَّمَا يُمَثِّلُ تَضَامُنَ الْمَاضِي ، وَالْحَاضِرِ ،  
وَالْمُسْتَقْبَلِ : وَهُوَ يَمُدُّ بِجذوره إلى أبعد زمانٍ خِلاَ وَيُدْلِي <sup>(٣)</sup>  
بِفُرُوعِهِ إِلَى أَقْصَى غَايَاتِ الْآتِي

كَيْفَ تَكُونُ رَأْسُ الْمَالِ فِي الْمُجْتَمَعَاتِ الْحَاضِرَةِ

رَأْيُنَا كَيْفَ تَكُونُ رُؤُوسُ الْمَالِ فِي مُجْتَمَعَاتِ

---

(١) آلة الخياطة (٢) المناسلة التناسل (٣) أدلى

بمعنى أرسل

المتقدمين ؛ على أن هذا التكوين لم يتغير في المجتمعات  
الحضريّة الأخيرة . فإن خفيت معالمه لأوّل وهاته فذلك  
لتكاثر الحوادث وتشابكها ؛ غير أن مجرد الادّخار الآن  
أصبح ضرباً من رأس المال بفضل تقسيم الأعمال  
الادّخار على نوعين : إمّا الاكتناز ، وهو ان يذفن  
الانسان نقوداً - ذهبيةً كانت أو فضيةً - فلا ينتفع  
بها المجتمع ؛ وإمّا إحداث أدوات للعمل أو إنتاج أرزاق  
ثابتة كالآلات الصناعيّة أو المباني الخ ، أو إقراض النقود  
للشركات أو للحكومة فتستخدمها في سبيل الإنتاج  
فتكون رأس المال في المجتمعات الحاضرة انما يتمُّ بالأ  
ينفق الانسان كلّ دخله ، وبأن يستخدم ما يجنيه<sup>(١)</sup>  
من المال في أمور تعود عليه بالنفع العميم ، وليس هذا  
بالميسور ، فهو لا بدّ له من نشاطٍ وسعة إدراك  
كلّ مدخّرٍ وفرّ عن فطنةٍ فهو رأس مال  
من تتبّع الأحوال فقابل بين سيرها الآن وما كان

(١) التجنب إحرار الشيء ووضعهُ في جانب

يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ ذَلِكَ السَّيْرُ، وَجَدَّ أَنْ كُلَّ مَنْ أَدَّخَرَ ،  
خَلَقَ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ ، مِيرَةً وَأَعْدَوَاتٍ لِلْعَمَلِ تَأْخُذُ بِيَدِ  
الْإِنْسَانِيَّةِ إِلَى أَعْلَى مَرَاqِيهَا. ذَلِكَ لِأَنَّ مَنْ اسْتَعَاضَ التَّجَمُّلَ  
بِفَاخِرِ الثِّيَابِ وَاللَّهُوَ بِيَاهِرِ الزَّيْنَاتِ وَاسْتِعْرَاءِ<sup>(١)</sup> الشَّهْوِيِّ  
مِنَ الْمَالِ كُلِّ وَجَمِيعِ تِلْكَ الْأَعْرَاضِ الزَّائِلَةِ ، بِاِقْتِنَاءِ سِنْدٍ عَلَى  
الْمَصْرِفِ الْعَقَّارِيِّ أَوْ صَكِّ عَلَى الْحُكُومَةِ ، فَقَدْ مَكَّنَ  
الشَّرَكَاتِ أَوْ الْحُكُومَاتِ مِنَ الْقِيَامِ بِأَعْمَالٍ عَامَّةٍ : كإِقَامَةِ  
الْمَبَانِي ، وَتَخْطِيطِ التَّرْعِ ، وَمَدِّ الْمَجَارِيرِ ، وَتَحْسِينِ كُلِّ مَا  
يُقِيدُ تَحْسِينُهُ ؛ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الْأَعْمَالِ الدَّائِمَةِ النَّفْعِ  
الَّتِي هِيَ رُؤُوسُ أَمْوَالِ

فَإِذَا أَخْطَأَ الْمُدَّخِرُ الْمَوْضِعَ الَّذِي يَأْمَنُ فِيهِ عَلَى مَالِهِ  
وَيَنْتَفِعُ بِهِ ، فَرَأْسُ مَالِهِ ضَائِعٌ عَلَيْهِ وَعَلَى الْمَجْتَمَعِ مَعًا ،  
وَمَذْخُورُهُ يَكُونُ أَشْبَهَ بِالْجَنِينِ وَوَالِدِ مَيْتًا

الْوَفْرُ<sup>(٢)</sup> إِذَا حَسُنَ اسْتِخْدَامُهُ ، وَوَجِبَتْ تَوْجِيهَةٌ نَفْعِ  
وَبَصِيرَةٌ لِإِعَانَةِ الْعَمَلِ الْإِنْسَانِيِّ ؛ فَكُلُّ مَجْتَمَعٍ كَثُرَ فِيهِ الْوَفْرُ

(١) الاستعراء التلذُّذُ (٢) الوفرة المال

كَثُرَ فِيهِ الْإِنْتاجُ ، وَرُبَّمَا قَلَّ صُنْعُ الْمُخْرَمِ <sup>(٢)</sup> وَازْدَادَ طَبَعُ  
الْحَدِيدِ ، وَاسْتَخْرَاجُ الْفَحْمِ . فَمَا نَقَصَ ، فَمِنَ النَّفَائِسِ ،  
وَمَا زَادَ ، فَمِنَ الْآلَاتِ الْمُنْتِجَةِ

وَلَمَّا كَانَ رَأْسُ الْمَالِ عَلَى تَوَالِي الزَّمَنِ ، قَدْ ضَاعَفَ  
الْقُوَى الْمُنْتِجَةَ فِي الْإِنْسَانِيَّةِ ؛ كَانَتِ الْأُمَّمُ الَّتِي تَدَّخِرُ  
وَتُنْعِي ذَخَائِرَهَا أَخْفَضَ عَيْشاً <sup>(٣)</sup> مِنَ الْأُمَّمِ الَّتِي لَا تَنْهَجُ  
ذَلِكَ النَّهْجَ

كَذَلِكَ شَأْنُ الْأَفْرَادِ فِي خَاصَّةٍ مَعَايِشِهِمْ ، وَمِثَالُهُ :  
رَجُلَانِ كِلَاهُمَا دَخَلُهُ عَشْرَةُ آلَافِ فَرَنْكٍ يُنْفِقُ أَحَدُهُمَا  
جَمِيعَ دَخَلِهِ وَيَدَّخِرُ الْآخَرَ نِصْفَهُ فَلَا يَعْيشُ بِسَعَةٍ كَمَيْشِ  
صَاحِبِهِ ؛ لَكِنَّكَ إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهِمَا بَعْدَ عَشْرِينَ عَامًا رَأَيْتَ  
أَنَّ الْمُدَّخِرَ قَدْ تَضَاعَفَتْ ثَرْوَتُهُ كَمَا تَضَاعَفَ دَخَلُهُ ، وَأَنَّ  
صَاحِبَهُ الَّذِي لَمْ يَدَّخِرْ لَمْ يَزَلْ بَاقِيًا عَلَى حَالِهِ

(١) الْمُخْرَمُ دَاتِلًا (٢) أَخْفَضَ عَيْشًا أَي أَلْيَنَ عَيْشًا

# فصل الخامس

## نوعاً رأس المال

رأس المال الثابت — رأس المال المتداول

رأس المال الثابت ورأس المال المتداول

علمنا ان رأس المال قد كان في مبدأه على نوعين :  
الذخائر، والأدوات . فلما انتشرت المدينة تفرعت عن  
هذين النوعين فرُوع مشت مدارجة<sup>(١)</sup> مع المدينة . ثم  
استعيض عن كلمتي « ذخائر » و « أدوات » بقولهم  
« رأس المال المتداول ، ورأس المال الثابت »

أما رأس المال المتداول ويعرف أيضاً بابن مرته ، فهو  
الذي لا يُستخدم إلا مرة واحدة في الإنتاج ؛ ومن هذا  
القبيل الذخائر بأنواعها ، وأخصها المواد الأولى ؛ فإنها  
إذا تحولت الى المنتج المطلوب أصبحت هي إياه ولم

(١) مدارجة أي تدريجاً

يَبْقَ مِنْ ذَوَاتِهَا شَيْءٌ : كَالصُّوفِ ، وَالزَّيْتِ ، وَالْفَحْمِ ، الَّذِي  
يُحْرَقُ لِتَحْرِيكِ آلَةٍ : كُلُّ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ تَحْوُلُ<sup>(١)</sup> إِلَى  
طَاقٍ مِنَ الْجَوْخِ هُوَ نَتِيجَةُ اسْتِخْدَامِهَا

فَلابدءُ إِذَا لِرَأْسِ الْمَالِ الْمَتَدَاوِلِ مِنْ أَنْ يَعُودَ كُلُّهُ وَمَعَهُ  
رَبْحٌ نَاتِجٌ : أَيُ أَنْ ثَمَنَ الطَّاقِ مِنَ الْجَوْخِ يَجِبُ أَنْ يُعَادِلَ  
ثَمَنَ الصُّوفِ وَالزَّيْتِ وَالْفَحْمِ وَسَائِرِ مَا اسْتَعْمِلَ لِإِنْتَاجِهِ ،  
مُضَافًا إِلَيْهِ أَجْرُ الصَّانِعِ وَرَبِيعُ الْمَالِ وَكَسْبُ الْمُسْتَحْدِثِ<sup>(٢)</sup>  
قَدْ تَبَيَّنَ مِمَّا سَبَقَ أَنَّ رَأْسَ الْمَالِ الْمَتَدَاوِلَ تَزَادُ بِهِ  
الذَّخَائِرُ ؛ أَمَّا رَأْسُ الْمَالِ الثَّابِتِ فَتَزَادُ بِهِ الْأَشْيَاءُ الَّتِي  
لَا تَبِيدُ فِي كُلِّ إِنْتَاجٍ : وَتِلْكَ الْأَشْيَاءُ هِيَ الْأَدْوَاتُ ،  
وَأَجْهَزَةُ الْمَصَانِعِ وَالْمَزَارِعِ ، وَالجَنَّةُ<sup>(٣)</sup> الَّتِي تَقَى الْإِنْسَانَ  
أَعْرَاضَ الْجَوِّ وَتُمْكِّنُهُ مِنَ الْعَمَلِ فِي كُلِّ وَقْتٍ . وَتَدْخُلُ  
فِي هَذَا الْبَابِ التَّرْعُ ، وَالخَطُوطُ الْحَدِيدِيَّةُ ، وَضُرُوبُ  
الإِصْلَاحَاتِ وَالتَّحْسِينَاتِ الثَّابِتَةِ

(١) حَالٌ بِمَعْنَى تَحْوِيلٍ (٢) صَاحِبُ الْمَشْرُوعِ وَمُدِيرِهِ

Entrepreneur — (٣) كُلُّ مَا يُؤَوَّى إِلَيْهِ وَيُسْتَجَنُّ بِهِ

رأس المال الثابت لا يتحوّل إلى ما ينتجُه، وإنما يُفرد  
لُه في كل عام مقدّارٌ من ثمنِ المنتجاتِ يُمكن من حفظه  
واستمرارِ نفعه، أو من استبداله حين يُخشى عليه التلّف؛  
والقدْرُ السنويُّ الذي يُستنزَلُ من أرباحِ المنتجاتِ لهذا  
الغرض — والذي يجب ادخاله في حسابِ كلِّ عملٍ  
جليل — يُدعى الاستهلاكُ

### مظاهر رأس المال في المجتمعاتِ الحاضرة

لما كانت صُرُوبُ التحسين والتّكميل التي يدخلها  
الإنسانُ على الأشياءِ كثيرةَ التّنوعِ والنّشْتِ، كانت  
لرأسِ المالِ مظاهرٌ بهذا التّنوعِ والنّشْتِ عند كلِّ أمةٍ  
راقية. وأهمُّ ما يجدر من ذلك بالذّكر هو المظاهرُ التّالية:

١ — المحسّنات الثّابتةُ للزّراعة: من مثل التّسبيخ  
والتّجفيفِ والرّيِّ وغرسِ الأشجارِ ووضعِ الأسمدةِ  
المتجدّدة الخ

٢ — المباني بأنواعها

٣ - الأدوات والآلات بصنوفها

٤ - المواشى

٥ - المواد الأولى مما تستغرقه الصناعة كالقطن

والصوف والزيت والفحم

٦ - الميرة التي يعال بها الخدمة المتجرون إلى أن

يتم الإنتاج

٧ - النقود

٨ - بعض المزايا، وبعض المرافق المعنوية

هذا التعداد ليس بالجامع ولا المانع بل إنه ليحتمل

المزيد . وبعض ما ذكر في البيان الآنف يستدعى شيئاً

من الشرح

يتساءل بعض الناس عما إذا كانت النقود رأس مال ؛

ويقول آخرون إنه إن كان رأس المال معنى فهي معناه .

سنعود بعد قليل إلى مسألة النقود ومنها سيتبين المطالع

أن الذهب والفضة هما رزق ، ولكنهما لم يكونا كل

الرزق ، ولا صاحبي المقام الأول فيه ؛ وليس أغنى

الشعوب من أقتى القناطر المقنطرة من الذهب : هذا  
الشعب البريطاني نراه أوسع الأمم ثروة على أن ما يملك  
من ذلك المدين الكريم، يقل عما تملكه منه سائر الأمم  
المتحضرة الكبيرة

وهذه الولايات المتحدة التي تجيء في منازل اليسار  
بعد إنجلترا، لا تملك من النضار ما يناسب جاهها العريض  
فالنقود - ذهباً كانت أو فضة - هي رأس مال  
لا محالة . إلا أنها في حقيقتها لم تكن غير أداة من  
الأدوات . وهي أيضاً ذريعة للمقايضات ؛ وليست مرغوباً  
فيها لذاتها بل لكونها وسيلة تملك . وطالما شُبِّهت بالسبل  
الكبرى أو بطرق النقل : من حيث إنها لم تُخْلَق إلا  
لتبادل المنتجات . ثم إنها من الأسباب التي تُعِينُ على  
الإنتاج بتسهيلها المقايضات ووقايتها الناس من إضاعة  
الوقت وإطالة الحساب وضرورة السفر

كل هذه الفوائد تُعِينُ لها صفة رأس المال ، وان لم  
تكن في بلدٍ إلا جزءاً من رأس ماله . وبصفتها هذه

تكونُ أشبهَ برؤوس المال التي تُستخدمُ في النقلِ أو  
المبادلة؛ فلا يجوز الإفراطُ في اقتنائها بما يُجاوزُ الحدَّ الذي  
تُعينُهُ حاجاتُ الإنتاجِ  
يجب على كلِّ شعبٍ أن يحتفظَ بنقوده على قدرِ ما  
يحتفظُ بمقطوراته<sup>(١)</sup>

### رؤوس الأموال المعنوية — الحدائق والتأديب

جرت مناقشاتٌ مستفيضةٌ في هل توجد رؤوس مالٍ  
معنويةٌ أولاً توجدُ  
وعندنا أنه يتحتم القول بوجودها . وفي الحق أن يقال  
إن الحدائق في المرء رأس مال ، لأن بين التأديب<sup>(٢)</sup> أو  
التخرج<sup>(٣)</sup> وبين رؤوس الأموال الحسية مشاكلةً بينةً .  
ومن وجوه تلك المشاكلة :

(١) أنظر فيما يلي الفصل المعقود للنقود — جعلنا لفظة  
المقطورة اسماً لكلِّ مركبة تجرُّها القاطرة

(٢) طلب العلم والفن المعنوي Education

(٣) طلب الصناعة والفن الحسي Apprentissage

١ - تشابهُ السَّبَبِ فيما يَحْمِلُ الإنسانَ على بذلِ

مجهوده بِقَصْدِ غَرَضٍ معلومٍ لا يَتَحَقَّقُ إلاَّ فيما بعدُ

٢ - الحَرَمَانُ الحَالِيُّ لِأَجْلِ فائِدةٍ مُستقبَلَةٍ كما يَقَعُ

لِمَن يَفُوتُ كَسْبًا عاجِلًا على رَجاءِ كَسْبِ آجِلٍ يَفْضُلُهُ

٣ - ضَرُورَةُ المَعيِشَةِ مِن مَذخُورَاتٍ سابِقةٍ مُدَّةَ

التَّخْرِجِ والتَّأدُّبِ

٤ - وَحْدَةُ الغَرَضِ مِن حَيْثُ الرِّغْبَةُ في تَسهِيلِ

العَمَلِ القَائِلِ واستِمارِهِ

٥ - وَحْدَةُ الضَّرُورَةِ لِياَمَنِ المِتاَدُّبُ أو المِتاخْرِجُ

ضِياعَ مَجهُودَاتِهِ، وَلِياَمَنِ بَعْدَ عَهْدِ دِراسَتِهِ الحِصُولَ على

زِيادةٍ مِن إِنْتاجِ عَمَلِهِ، تَعَوُّضُ عَليه ما هو خَيْرٌ مِن

مَجهُودَاتِهِ ونَفقاتِهِ وسائِرِ ما قَدَّمَهُ خِلالَ تَعَلُّمِهِ وتَدْرِيبِهِ

فالمِقاَبَلَةُ تامَّةٌ بَينَ رأسِ المَالِ مِن وَجْهِ، وَبَينَ التَّأدُّبِ

والتَّخْرِجِ مِن وَجْهِ آخَرَ : لِاتِّتِلافِ الأَسبابِ والمِقاَدِماتِ

والتَّناجِجِ

وَرُبَّما لَاحَ لَنا أَنَّ التِّزاعَ في وُجُودِ رِوُوسِ أُمُوالِ

معنوية ، تمادٍ في التحيز ؛ على أنها حقيقية ، تُوجدُ في الشعوب كوجودها في الأفراد : لأنَّ الصِّفَاتِ التي تُعرفُ بها أمةٌ - تليدةٌ <sup>(١)</sup> كانت أو طارفةً <sup>(٢)</sup> - تكون لها منافعُ فيما بين الأمم من الصِّلات ، كمنافعها بين الأفراد أليست شعراً <sup>(٣)</sup> المعامل التي اشتهرت بمجودة بضائعها ؛ وكثرةُ العملاء الذين استمالتهم إحدى الأمم الى سلعها ؛ والسُّمعةُ التي اكتسبها قومٌ من جهة سلامة الذوق ولطف الشكل في مُحدثاتهم ، أو من جهة مهارتهم الصِّناعية واستقامتهم التجارية ؟

أليست كل هذه ضروباً من رأس المال ، تُقومُ بقيمٍ في المقايضات بين ديارٍ وأخرى ؟

البدائع الفنية - رؤوسُ أموال

جرت مباحثُ في هل الصورُ اليدويةُ وعمامةُ البدائع الفنيةِ رؤوسُ أموالٍ ؟

---

(١) قديمة  
العلامة أو الآية  
(٢) جديدة  
(٣) جمعُ شعارٍ وهو

من الجهة الحسية المحضة يجوز التنازع في تعريفها  
بهذه الصفة ؛ ولكن من يتدبر الأمر حق تدبره ،  
لا يجد المنازعة في ذلك صواباً . فإن تلك الروائع ، التي  
دعاها بعضهم برؤوس الأموال الممنعة ، لتعد من أجل  
الازداق في البلد الذي تكون فيه ، سواء لبقائها - مع  
شيء من العناية بها - أطول ما تبقى عامة المصنوعات  
الأخر ، أو لأنها تسر الناظرين ولا يلحق بها الاستعمال  
عطبا ولا تلفاً

أما الصور والبدائع التي يتفوق بها مجيدوها فلها  
- عدا فوائدها - مزية التعليم ، وهي مزية تلازمها  
طوال الأحقاب ، وبها يسلم الذوق وترقى النفوس ،  
وعلى أمثلتها تعمل أعمال فنية ، صناعية ، يتجر بها ؛ فهي  
من هذا القبيل تنتج ما لا تنتج إلا رؤوس الأموال  
خذ المتاحف « كاللوفر » وأمثاله في « مدريد » أو  
« لندن » أو « الفاتيكان » الخ . تجذ أنها مدارس عيانية  
يُستفاد منها علم الفنون وسر إتقانها ، ويكتسب المتعلمون

المختلفون اليها ، مما تُوحى اليهم ، صفاتٍ مُنتجةٌ لا تستطيعُ  
« أمريكا » ولا « أستراليا » — وهما البلدان الحديثان —  
إكسابها لمن فيهما من أضراب أولئك المتعلمين

ولولا الروائع الفنية المدخرة في « روما » و« فيورنتا »<sup>(١)</sup>  
و « درسد »<sup>(٢)</sup> و « أمستردام »<sup>(٣)</sup> و « الهاي »<sup>(٤)</sup>  
و « مونيخ »<sup>(٥)</sup> ، لقلَّ عددُ زائريها . فلا مشاحة ان تلك  
التحف هي رأس مال لتلك البلاد يُكسبها دخلاً لا يُقدَّرُ؛  
ولا سيما أن أُلوفاً من الناس في « إيطاليا » ، ما زالوا  
يرتزقون من البدائع المخلفة عن « عصر النهضة »<sup>(٦)</sup>  
أو عن الأعصر التي تقدّمتها إما بنقلهم الرسوم أو بتفسيرهم  
غوامضها

(١) Florence بإيطاليا (٢) Dresde حاضرة سكس

(٣) Amsterdam حاضرة هولنده (٤) La Haye بهولنده

(٥) Munich بالمانيا (٦) عصر النهضة أو الإحياء هو الزمن

الذي بُعثت فيه الفنون البديعة بعثةً كان مبدؤها في إيطاليا في

ولو قُوبِلَ بينَ فِتَىِ أَمْرِيكِيٍّ أَوْ أُسْتُرَالِيٍّ قَد مَالَ إِلَى  
التَّفَنُّنِ ، وَبَيْنَ فِتَىِ إِيْطَالِيٍّ تَفَرَّغَ لَهُ ، لَكَانَ الفَرْقُ كَبِيرًا  
بَيْنَ حَالَتَيْهِمَا ، إِذْ أَنْ الأَوَّلَ يُكَابِدُ مِنْ ضِيَاعِ الوَقْتِ  
وَإِتْفَاقِ العَالِيِ وَالرَّخِيصِ ، فِي سَبِيلِ التَّعَلُّمِ وَالتَّخْرُجِ  
مَا لَا يُكَابِدُ الثَّانِي

وَلَعَلَّ الطَّرْفَ الفَنِيَّةَ تَبْقَى أَبَدَ الدَّهْرِ إِحْدَى مَزَايَا  
العَالَمِ القَدِيمِ عَلَى العَالَمِ الجَدِيدِ . فَمِنْ العَبَثِ إِذَا أَنْ يُجَادِلَ  
مُجَادِلٌ فِي كَوْنِهَا رَأْسَ مَالٍ مِنْ أَنْفُسِ مَا تَقْتَنِيهِ الإِنْسَانِيَّةُ  
عَلَى أَنْ اللَّيْبَ الَّذِي يَنْظُرُ مِنْ شَرَفٍ <sup>(١)</sup> وَيَتَبَيَّنُ  
المَدِينَةَ كُلَّهَا ، يَجِدُهَا حَادِثًا عَجِيبًا آيَةٌ لَا تَزُولُ وَلَا  
تَنْقَطِعُ فِي تَكْوِينِ رُؤُوسِ الأَمْوَالِ ، سِوَاهُ <sup>(٢)</sup> أَكَانَتْ  
حَسِيَّةً أَمْ مَعْنَوِيَّةً

---

(١) شَرَفٍ أَي عَالٍ (٢) سِوَاهُ أَكَانَتْ - هَذَا هُوَ

الاسْتِعْمَالُ الفَصِيحُ كَمَا جَاءَ فِي الكِتَابِ العَزِيزِ وَقَدْ جَوَّزُوا - سِوَاهُ

كَانَتْ - وَهُوَ قَلِيلٌ

## الفصل السادس

الأسباب التي تؤثر في تكوين رأس المال — الأطوار الثلاثة التي مرت بها المجتمعات من جهة وفرة رأس المال وشأنه فيها — الأسباب التي تنقص معها رؤوس الأموال أو تزيد — تأثير الأمن والتربية والأسرة والميراث والأعمال الاختصاصية والقوانين — أصبح تكليف الحكومة أن تقتصد بدلاً من الأفراد ؟

### الوجهة الثلاثة

التي تقلبت عليها المجتمعات من جهة رأس المال

إنّ الفواعل الثلاثة التي يصدر عنها الإنتاج ، وهي الطبيعة ، والعمل ، ورأس المال ، لا يتفق أن توجد على نسبة واحدة في كل مكان وفي كل زمان . وكذلك الإنسانية لم يكن تقدمها ورقيها متعاصراً ولا متماثلاً في جميع أرجاء المعمور . وقد اختلفت الشعوب منذ البدء اختلافاً بيناً في مقدرتها على إحداث رأس المال أي الذخائر والأدوات

رأسُ المال بوجه عام ، مفقودٌ في الأقطار الأبخار التي  
لا يعوزُ الطَّبيعةَ فيها إلا يدُ الإنسانِ لِنتِجِ أرزاقًا . فإذا  
جاءها رأسُ المال بذخائره وأدواته انتمست وعاشت .  
ولولاهُ لما كانَ حظُّ المهاجرين إلى البُلْدانِ أمثال «البِلَاتَا»<sup>(١)</sup>  
« وَزِيلَنْدَا »<sup>(٢)</sup> الجديدة ، ومُستعمرات القارَّة الأقيانيَّة ،  
إلا شظفَ العيش أو الموتَ جوعًا . فَشَرَطُ انتفاعهم  
بأيديهم لتقويم أودهم ألاَّ يبلُغوا تلك الأجزاء إلا وقد  
أعدت لهم ميرةً ومأوىً وبذارٌ ومحارِثٌ ومواشٍ . فإن  
لم يُصيبوا تلك الضَّرورياتِ ، سواءً أكانت مما أوجدهُ  
السكانُ الأصليون ، أم أرسلهُ مُوَلو العالم القديم ، لقوا  
العُسْرَ والشقاءَ وعادوا إلى الهمجية الأولى  
ذلك المصيرُ السيِّئُ هو الذي يصيرُ إليه أناسٌ من  
الذين حملهم بعضُ المتفحِّمين<sup>(٣)</sup> المُجازفين إلى الأَرْضين

(١) La Plata بلد في الجمهورية الفِيزية

(٢) La Nouvelle Zélande جزيرتان أقيانيتان .

(٣) المتفحِّم الراى بنفسه

المجهل<sup>(١)</sup> فإن الطبيعة فيها قد تكون سَمْحَةً ؛ ولكنها لا تجودُ بهياتها إلا حينما يكون رأسُ المالِ معواناً للناسِ على بذلِ جهوداتهم وعلى انتظارِ نتائجها . وفي المصائبِ الاستعماريةِ التي حدثتْ أخيراً ولا سيما في « بوربريتن » بأقانيا ، ما يؤيدُ هذا الرأيَ

أجلُ فإنه لا بدَّ لصيانةِ الإنسانِ مِنَ النزولِ عن رُبَّةِ المدينةِ في الأقطارِ الجديدةِ ، ان يصحبه اليها رأسُ المالِ أو يسبقه ؛ وإلا اضطرَّ المهاجرون المستجدُّون إلى المرورِ بالأطوارِ التي مرَّتْ بها المجتمعاتُ الفقيرةُ الهَمِجِيَّةُ من قبلُ ، وإلى تحمُّلِ ما تحمَّلتْ من المِحَنِ والفاقاتِ . وأقلُّ هذه الكوارثِ ممَّا لا يستقلُّ به أناسٌ — مهمارقتُ حالهم<sup>(٢)</sup> — من أهلِ هذا العصرِ وحضارتهِ

أماً إذا نظرنا إلى أُمَمِ العالمِ القديمِ ، وأخصُّها التي تكوَّنتْ على مهلٍ ، ولم تندفعْ في تقدُّمها كاندفاعِ المستعمراتِ

---

(١) المجهل يستوى فيه المفرد والجمع فيقال ارضُ مجهل

وأرضون مجهل وهو الأرضُ غيرُ المأهولةِ (٢) اشتدَّ فقرهم

التي تواليها أمّاها<sup>(١)</sup> في هذا العهد ، فقد مرّت بثلاثة  
أطوارٍ مُتباينةٍ

الطُّورُ الأوَّلُ : كان مُعْظَمُ التّأثيرِ فيه للطَّبيعةِ وكانت  
هي الفاعِلُ السَّائدُ في الإنتاجِ . أمّا العملُ فقد وُجِدَ  
إذ ذاك حتماً ؛ ولكنّه إنّما كان له شأنُ المُساعدِ ، ولم يكن  
قد بلغَ يومئذٍ أشدّه من القوّةِ المنظّمةِ والقُدرةِ على  
التنوّيعِ ؛ وأمّا رأسُ المالِ فقد وُجِدَ وكان وجوده لازماً ،  
سوى انه كان وليدًا لا ينمو إلاّ بابطاءٍ

ذلك عهدُ الشُّعوبِ الصّيّادةِ والشُّعوبِ الرُّعاةِ ، إلى  
مبادئِ أيّامِ الزّراعةِ : ولا سُلطانَ فيه لغيرِ الطَّبيعةِ بل ولا  
قيادةَ لسواها . إذ أنّ الافواِمَ لم يُليّنوها ولم يَدلّوها .  
وقلّما كان فيهم سَبْقُ نظرٍ أو تَقْدِيمُ حذرٍ ، فلا تَسْلِفُ<sup>(٢)</sup>  
ولا ذخيرةٌ يُحتاطُ بها لامرٍ يَجِيءُ . فهم يَعيشون يوماً بيومٍ  
أو عامًا بعامٍ فلا يَحِلُّ الحِصَادُ إلاّ وهم مجهودون . فإذا

(١) الأقطار التابعة لها المستعمرات Les Métropoles

(٢) تقديم شيءٍ للاعتياض به أو بأحسن منه Avance

نزلت بهم نازلة جفافٍ أو أصابتهم سنة<sup>(١)</sup> ، فدحت<sup>(٢)</sup>  
بلواهم وطفعت شقوتهم فماتوا ألوفاً

على أن هذه النوائب الدورية وأخصها المجاعة، ما  
زالت إلى الآن تنتاب «أرمينيا» و «آسيا الصغرى» بل  
«الهند» و «أفريقيا» في بعض الآناء؛ مما يدل على  
أن الإنسان لم يبرح فيها تحت حكم الطبيعة الزاماً

ففي مثل هذا الطور لم يكن غير رأس المال، بذخائره  
وأدواته التي تنظم الإنتاج وتقيم العمل تقسيماً صالحاً،  
جديراً بتحرير الناس من تلك الرِّبقة<sup>(٣)</sup> وتمليكهم أزمة<sup>(٤)</sup>  
الطبيعة

الطور الثاني : هو الذي توافر فيه شيء من رأس  
المال ، وتحسن العمل وتنوع فأصبح وهو الفاعل الأول  
في الإنتاج

ولا شيء يُمثله لنا كما تُمثله القرون الوسطى بما كان

(١) أي جذب (٢) اشتدت (٣) الرِّبقة النير

(٤) أزمة جمع زمام وهو اللجام

فيها من صناعةٍ صغيرة ، ومُستصنِعينَ صِغار ، وطوائفٍ  
مُحترفين . وأسواقٍ ثابتة ضيقة ، وأسواقٍ دوريةٍ في القريةِ  
أو الحاضرةِ التي ترتبطُ القريةُ بها

ولم تكن التدابيرُ المنتجةُ الواسعةُ ، ولا المبتكراتُ  
الفجائيةُ النافعةُ ، ولا التغيراتُ المتواليةُ في الطرائقِ المسنونةِ  
والقواعدِ المتبعةِ ، معروفةٌ لذلك العهد . إلا أن المجتمعَ  
كانَ مع ذلك يتحسنُ وينمو ويرقى ، وإن كانَ مظهره  
مظهرَ الجمودِ لبطءِ حركتهِ في تقدّمه

الطورُ الثالثُ : بعدَ هذهِ الحالةِ أُقبلَ الطورُ الثالثُ  
وفيه استفاضَ رأسُ المالِ ، بذخائرهِ المختلفةِ وأدواته وآلاته  
المتنوعةِ ، ثمَّ ازدادَ بسرعةٍ عظيمةٍ وتباينت أشكاله بلا  
حصْرٍ لِمادى الأنامِ المتبصرين في الادخارِ من جهةٍ ،  
وللتابعِ المخترعاتِ والمستكشفاتِ من جهةٍ أُخرى . فلما  
بلغَ إلى هذا الحدِّ ، تقاصرَ ، فاستجمعَ ، وأخذَ بناصيةِ  
العملِ ، وتولّى إدارةَ العالمِ بأسرهِ

ولقد كانَ ابتداءُ هذا العهدِ الجديدِ في أوربا مع ابتداءِ

الملاحة الكبرى، ومع استئنان السفر إلى الاقطار النائية  
في سبيل التجارة، قبيل ختام القرن السادس عشر  
إلا أنه لم يسر سيره الحثيث ولم يظهر جميع مزاياه  
إلا منذ أوائل القرن الماضي. على أن الصناعة الصغرى،  
وهي التي يكون الرئيس فيها عاملاً بيده، ومُشرفاً على  
الجزئيات التي ينتجها، لم يحق بها الزوال في ذلك العهد؛  
غير أنها فقدت كثيراً من مواطنها وحلت الصناعة  
الكبرى محلها فيها

هذا الطور هو الذي نحن فيه الآن

الأسباب التي يزيد معها جمع رأس المال  
أو ينقص

أما وقد بلغ رأس المال من الشأن أن يدير الإنتاج  
في المجتمعات الشاهدية، وان يزيد فائدة العمل، ويضعف  
الأرزاق، فإنه يتمين علينا أن نبحث في الأسباب التي  
عليها مدار توافره، ومنها يتأتى أن أقواماً يكونون

أَحْرَصَ عَلَى جَمْعِهِ مِنْ أَقْوَامِ آخِرِينَ  
وَالِيكَ الْقَوَاعِدَ الْأَسَاسِيَّةَ الَّتِي يَصِحُّ الْوُقُوفُ عِنْدَهَا  
فِي هَذَا الصَّدَدِ :

١ — لَمَّا كَانَ رَأْسُ الْمَالِ آخِذًا مِنْ عَاجِلِ الْإِنْتِاجِ  
أَوْ النَّفَقَةِ عَلَى ذِمَّةِ نَفْعٍ آجِلٍ ، فَلَا جَرَمَ أَنْ جَمَعَهُ يُسَهِّلُ  
عَلَى الْمُتَبَصِّرِينَ بِقَدْرِ مَا يَكْثُرُ الْإِنْتِاجُ وَيَرْبُو عَلَى حَاجَتِهِمْ  
الضَّرُورِيَّةَ

الشَّعْبُ الْمَكْتَفَى أَوْ الْغَنِيُّ ، أَقْدَرُ بِالْبَدَاهَةِ عَلَى جَمْعِ  
الْمَالِ مِنَ الشَّعْبِ الْفَقِيرِ ، أَوْ غَيْرِ الْمَكْتَفَى

مِثَالُ ذَلِكَ فَرَنْسَا ، فِي الْمَقَابَلَةِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ إِيطَالِيَا ؛  
أَوْ الشَّعْبُ الْفَرَنْسِيُّ خِلَالَ الشَّطْرِ الثَّانِي مِنَ الْقَرْنِ الثَّانِعِ  
عَشَرَ ، فِي الْمَقَابَلَةِ بَيْنَ مَا أَفْضَى إِلَيْهِ ، وَبَيْنَ مَا كَانَ عَلَيْهِ  
هُوَ نَفْسُهُ فِي الشَّطْرِ الْأَوَّلِ مِنْ ذَلِكَ الْقَرْنِ

فَكَلَّمَا أَزْدَادَ رَأْسُ الْمَالِ ، أَزْدَادَتْ وَسَائِلُ مُضَاعَفَتِهِ .  
غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ يَحْدُثُ أَنْ السَّعَةَ تُخَدِّرُ الْعَقْلَ وَتُفْضِي  
بِالْإِنْسَانِ إِلَى الْحُمُقِ وَالسَّفَهَةِ ، فَهَاهُنَا يَتَعَيَّنُ عَلَى التَّرْبِيَةِ

وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ الْعَامَّةِ أَنْ تَتَدَارَكَ ذَلِكَ الْفَسَادَ  
بِالْإِصْلَاحِ

٢ - لَمَّا كَانَ الْأَدِّخَارِ بَعْدَ عَاجِلٍ بِأَجَلٍ كَمَا قَدَّمْنَا ،  
تَحْتَمُّ أَنْ يَكُونَ مُحْتَمِلٌ هَذَا الْحِرْمَانِ فِي يَوْمِهِ ، عَلَى ثِقَةٍ  
مِنَ الْحَصُولِ عَلَى رَيْعٍ مُدَّخَرِهِ فِي غَدِهِ ، فَكُلُّ مَا يُلْقَى  
شُبُهَةً عَلَى مُسْتَقْبَلِ الْمَالِ ، يَنْزِعُ بِالنَّفْسِ عَنِ الْأَدِّخَارِ .  
فَأَمَّا الثَّوَرَاتُ الْمُبَاغِتَةُ الَّتِي لَا يَطُولُ أَمْدُهَا فَقَلَّمَا يَكُونُ  
لَهَا هَذَا التَّأثيرُ . وَأَمَّا الْفِتْنُ الَّتِي تَتِمَادَى وَالْفُوضَى الَّتِي  
تَسْتَمِرُّ ، فَهِيَ مِنَ الْعَوَادِي <sup>(١)</sup> الَّتِي تَعْدُو <sup>(٢)</sup> النَّاسَ عَنِ  
التَّائِبِلِ <sup>(٣)</sup>

أَنْظِرْ إِلَى الْبِلَادِ الْهَمَجِيَّةِ قَبْلًا ، وَإِلَى الدِّيَارِ الْإِسْلَامِيَّةِ  
بَعْدًا ، تَجِدُ أَنَّ الرَّجُلَ الْمُبْصِرَ إِذَا جَمَعَ ، أَعْنَى إِذَا دَفَنَ  
نُقُودًا أَوْ حُلِيًّا لِيَنْتَفِعَ بِهَا أَيَّامَ الضِّيقِ ، فَلَا يَكُونُ ذَلِكَ  
الْجَمْعُ رَأْسَ مَالٍ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَسْتَعْدِمُ مَا جَمَعَهُ فِي تَأْسِيسِ

(١) العوادي الطواري المانعة (٢) تعدو أي تمنع

(٣) التائيل الادخار

مراقق أو مصانع جديدة؛ بل إنه ربما خشي أن يتظاهر  
بالجاء فتتجه إليه الأنظار ويسلبه السالبون كل ما تصل  
إليه أيديهم إما حيلة وإما اغتصاباً

فالأدخار ورأس المال إنما يكثران ما دامت السعة،  
وما دام الأمن وأخصه ما كان على الملكية

٣ - على قدر ما يكون المستقبل مرجواً خيراً،  
يكثر الادخار وينمو رأس المال. لهذا كانت الروابط البيئية  
وحرمة الميراث من الأحوال الصالحة لازدياد رأس المال؛  
على أن البيت والميراث نافعان للامة كافة، ولا يعدو<sup>(١)</sup>  
نفعهما من لا صلة له من أهلها بذلك البيت ولا بذلك  
الميراث. فهما منتجان كل الإنتاج؛ لأنهما ينميان في قلب  
الصبي وقاب الشيخ فضيلة التبصر والتعفف. أما الأعزاب  
فهم بطبعهم أقل ادخاراً من أصحاب العيلة؛ لعدم اهتمامهم  
بما قد يجيء

وعلى ما تقدم بيانه، يصح اعتداد الأسرة والإرث

(١) يعدو يتجاوز

سببين من أكبر أسباب الادخار: أى النجاح الصناعى  
فى الأمم

٤ - توجيه التربية ، إلى التبصير بالمستقبل مما  
يرغب فى التأثيل واستقامة الأخلاق ؛ فإن المذمن<sup>(١)</sup>  
مثلاً ، لا يقتصد ، ولا مجاورة بين الروية ، وجنون الخمر  
ه - من المؤسسات لأغراض خصيصية أو عميمة ،

ما يسهل التأثيل : كصناديق الادخار ، وصناديق البريد ،  
وصناديق المدارس ، وصناديق القعود<sup>(٢)</sup> وشركات التعاون  
وفى الجملة معظم جمعيات الادخار أو الإحسان . كذلك  
مما يرغب فى التأثيل ويُعدّد وسائله ، الشركات غير  
المحدودة بأسهمها وصكوكها المتنوعة ، ومعاهد استثمار  
المنقولات بصنوفها ، وقطع الصكوك أمثال تلك التى  
قيمتها ثلاثة فرنكات أو أربعة فرنكات ، وأسهم النصيب  
الذى تصدرها المدن أو بعض الشركات الكبرى ؛ وبوجه

(١) المواظب على شرب الخمر (٢) القعد والقعود الذين

شاملِ ضروبِ السَّفَاحِجِ<sup>(١)</sup> التي منها ما يُرْجى معه كسب  
الأرزاقِ الرَّابِحَةِ - وهذا ما لا يَتَحَقَّقُ إِلَّا نَادِرًا - ومنها  
ما يكون له رَيْعٌ قَلِيلٌ إِلَّا أَنَّهُ مَضْمُونٌ

ولقد كانتِ العَامَّةُ قَبْلًا لا يَعْرِفُونَ أَيْنَ يَضَعُونَ  
مُدْخِرَاتِهِمْ ؛ أَمَّا الْآنَ فَأَرْبَابُ الْأَعْمَالِ يَتَهافتُونَ عَلَيْهِمْ  
وَيَسْتَبِقُونَهم . لذلك امتنعت تلك الحَيْرَةُ . ولكن بقيَ  
على ذَوِي الْأَمْوَالِ حُسْنُ الْاِخْتِيَارِ ، إِذْ أَنْ مَنْ أَوْلَيْكَ  
الَّذِينَ يَلْتَمِسُونَ أَمْوَالَهُمْ بِدَعْوَى اسْتِغْلَالِهَا ، أَنْ نَسًا يَحْتالُونَ  
لَاخْتِلَاسِهَا

٦ - قد تحوّلُ القَوَانِينُ دُونَ الْاِدْخَارِ ، وَذَلِكَ فِي

حَالَتَيْنِ :

أَوْلَاهُمَا حِينَ تَفْرِضُ الضَّرَائِبَ فَوْقَ النَّسْبَةِ الَّتِي  
تُجِزُهَا رِوُوسُ الْأَمْوَالِ أَوْ الْمَوَارِدُ ؛ وَحِينَ تَفْرِضُ الضَّرَائِبَ  
الْوَقْتِيَّةَ غَيْرَ الْمَعِينَةَ أَوْ الضَّرَائِبَ الَّتِي يُوحِيهَا الْحِقْدُ وَالْحَسَدُ  
وَتُسَنُّ لِإِيذَاءِ أَهْلِ السَّعَةِ وَأَهْلِ الْيَسَارِ . فَأَمثالُ هَذِهِ

(١) جمع سَفْتَجَةٍ وَهِيَ الْوَرَقَةُ الْمَالِيَّةُ

القوانين تثبّت العزمَ دونَ الادخارِ حالاً أو مُستقبلاً ؛  
لأنّها تُحدِثُ تقصّصاً في ربيعِ المالِ وتقصّصاً في الضمانةِ الواجبةِ  
لَهُ . ومنَ هذا القبيلِ انّ الوَزيعةَ <sup>(١)</sup> التي تُجَمَلُ على  
الموارِيثِ ، إذا بولغَ في مقدارها جاوزَ الدّخلَ السنويَّ  
المتأتّي عن رأسِ المالِ ، أثرتَ ذلكَ التأثيرَ السيِّئُ  
أمّا الحالةُ الثانيةُ التي توهنُ بها القوانينُ قوّةَ التأميلِ  
فيانها فيما يلي :

لَمَّا كانَ الادخارُ يبيعَ عاجلٍ بأجلٍ كما قدّمنا . وَجَبَ  
أن تَرَسَخَ في أذهانِ الناسِ على اختلافِ طبقاتهم عقيدةُ  
أنّ ذلكَ التّجنيبَ دونَ سواه هو الذي يَجِبُ لهم صنوفَ  
الفوائدِ التي يَستمتعونَ بها ، فإذا سُنّتَ قوانينُ مِنْ  
مقتضاها تكفيلُ الحكومةِ أو بلديةِ القريةِ بجميعِ  
سُفهاءِ القطرِ أو البلدةِ ، قُتِلَتِ عزيمةُ التّبصرِ عند غيرِ  
واحدٍ مِنَ الناسِ . فإذا وَسَعَ نطاقُ الإعانةِ العامّةِ فكانَ  
للفقيرِ ، غيرِ مُدافِعٍ ، أن يُصِيبَ منها حظاً يَتَبَلَّغُ <sup>(٢)</sup> بِهِ

(١) الوَزيعةُ خاصةً بالموارِيثِ كالضريبةِ (٢) يقات به

أو يجد معه شيئاً من صلاح الحال، وإذا تبارى المحسنون في العطاء ولم يتحرّوا ووضعه في مواضعه، ففعل كل ذلك إضعاف النشاط العقلي والتزوع بالنفوس عن الادخار ومثل هذا المفعول واقع لا محالة إذا تقدّم ما هو منوي من القوانين الغرارة<sup>(١)</sup> : مثل الذي يراد سنه للقعدة من العمال ويقصد به ان يمدد العامل، من غير مقابل يقدمه، إمداداً يقضى معه شيخوخته في رخاء وكرامة؛ فلو وعدت انساناً بأن تنيه عفواً ما كان يرجوه من نتيجة كده وكذحه، فإن يكده بعدها وأن يكذح إذا فسخاء الحكومة على غير المستحقين للإحسان يقتل الادخار بإزالة أهم الأسباب الداعية إليه، وبالتالي يقتل رأس المال الذي أصبح الآن صاحب الشأن الأكبر في الفلاح الاجتماعي.

نستطرد مما سبق إلى أن تتساءل : هل تستطيع الحكومة أن تقوم مقام الأفراد في الادخار؟

قد يتفق لبعض الحكومات ان تدخر ، غير أن  
أكثرهن - أية كانت نظامتهن - أميل إلى الإنفاق  
جزافاً منهن إلى الادخار . وإنما الحكومة تدخر ، حيث  
تستخدم أموال الضرائب دون سواها من اقتراض  
ونحوه ، في تمهيد الطرق وتشيد المدارس وإقامة المرافق  
العامة ، فإذا أرادت الادخار على هذه الصورة فقد تعين  
عليها ألا تقترض كما أشرنا ، وان تكون على بصيرة مما  
تُنفق فيه الأموال

وهذان الشرطان قلما يتوافران في حياة الحكومات .  
على أن ذلك سبباً شاملاً : وهو ان كل حكومة تابعة  
لمنازع<sup>(١)</sup> شعبها ؛ والسواد الأعظم من كل شعب غير  
مؤلف فطرةً بالادخار أما الذين طاب عنصرهم وكمل  
تبصرهم ، فقمعوا شهواتهم ، ورسموا حدًا لحاجاتهم  
فأولئك دون غيرهم ، هم الذين يرغبون في الادخار  
ويفعلون بقوة إرادتهم . وليسوا إلا بعضاً من كل ، في

(١) المنازع الأغراض والميول

السَّوَادِ الَّذِي يَضْطَرُّ أَوْلِيَاءَ الْأَمْرِ إِلَى مَجَارَاتِهِ عَلَى مُتَقَلِّبِ  
أَهْوَاءِهِ وَمُتَبَايِنِ آرَائِهِ . دَعَا أَنْ الْحُكُومَاتِ عَرْضَةً فِي  
كُلِّ يَوْمٍ لِأُلُوفٍ مِنْ طُلَّابِ الْخِدْمَةِ وَأَرْبَابِ الْأَمَانِيِّ  
الْكَثِيرَةِ الْكُلْفَةِ الَّذِينَ يَشْغَلُونَهَا فَوْقَ شَوَاغِلِهَا . فَمِنْ  
الْعَسِيرِ عَلَيْهَا أَنْ تَعَزِّمَ أَوْ أَنْ تَقْدِرَ عَلَى الْإِدْخَارِ مِنْ دَخْلِهَا  
عَلَى النَّسَبَةِ الَّتِي يَكُونُ عَلَيْهَا إِدْخَارُ الْمُتَبَصِّرِينَ الْحُصْنَافِ (١)  
مِنَ الْأُمَّةِ

غَايَةٌ مَا تُسْأَلُ عَنْهُ الْحُكُومَاتُ الْأَتْسِرَفَ : وَهَذَا  
أَيْضًا غَيْرُ مَيْسُورٍ لَهَا ، فَلَا مَحَلَّ لِتَكْلِيفِهَا الْإِدْخَارَ وَمُتَابَعَتَهُ  
بِرَوِيَّةٍ ؛ فَالْعُمْدَةُ فِي تَمِيمَةِ رَأْسِ الْمَالِ عِنْدَ كُلِّ شَعْبٍ ، إِنَّمَا  
هِيَ عَلَى أَهْلِ النَّشَاطِ وَالتَّبَصُّرِ مِنْ أَفْرَادِهِ

